مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

مواصلة العمل الصالح بعد رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

مواصلة العمل الصَّالح بعد رمضان[1]

الحمد لله الواحد القهَّار، يُكور اللَّيل على النَّهار ويُكور النَّهار على اللَّيل، وسخَّر الشَّمس والقمر كلٌ يجري لأجلٍ مسمًّى، ألا هو العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، يُقلِّب الله اللَّيل والنَّهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، واعتبروا بسرعة مرور اللَّيالي والأيام، فإنَّها من أعماركم، وهي خزائن أعمالكم، وفي يوم القيامة تُفتَّح هذه الخزائن لكم، فالمؤمنون يجدون في خزائنهم العزَّة والكرامة، والمفرِّطون يجدون في خزائنهم الذِّلة والإهانة، فاملئوا هذه الخزائن بتقوى الله سبحانه وبالأعمال الصَّالحة قبل أن تغلق بانتهاء آجالكم.

بالأمس القريب كنتم تعيشون في شهر عظيم، وموسمٍ كريم، وهو شهر رمضان المبارك، فانطوت أيامه، وتصرمت أوقاته، فانظروا ماذا أودعتم فيه من الأعمال، فما شهر رمضان إلَّا زيادة في عمر المسلم وفي عمله، يغتنمه في الخير، فلينظر كلٌ منَّا ما مرَّ به عليه شهر رمضان من عمل صالح أو من تفريط، فإن كان عمِل فيه عملًا صالحًا فليحمد الله وليواصل عمله في بقيَّة عمره، ولا ينتهي عند رمضان، ومن كان مفرطًا في رمضان فباب التَّوبة مفتوح فلا يقنط من رحمة الله، فليتب إلى الله عزَّ وجلَّ وليُصلح عمله في المستقبل، فإنَّ الله يتوب على من تاب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الشورى:٢٥]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وليس عمل المسلم مقصورًا على شهر رمضان، وإنَّما عمل المسلم مستمر من حين يبلغ الحلم إلى أن يتوفاه الله، قال الله جلَّ وعلا لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩] يعني: الموت، فليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

(١) مصدرها موقع الشَّيخ صالح الفوزان قسم الخطب.

قال بعض السَّلف: أدركت أقوامًا لا يزيد دخول رمضان من أعمالهم شيئًا، ولا ينقص خروجه من أعمالهم شيئًا؛ لأنَّهم كانوا مجتهدين في العبادة في كلِّ حياتهم في رمضان وفي غيره.

ولكنَّ الله جعل شهر رمضان زيادة في عمل المسلم يُضيفه إلى عمله الصَّالح زيادة خير إلى خير، وجعله فرصةً للمفرِّط ليتوب إلى الله عزَّ وجلَّ ويستدرك ما فاته، فهو خير كلّه على المسلمين، المؤمن يفرح بانتهاء شهر رمضان؛ لأنَّ الله وفقه لصيامه وقيامه، واستكمله في طاعة الله، فهو يفرح بذلك أن مكَّنه الله من جميع الشَّهر في العمل الصَّالح.

وأمَّا المنافق والفاسق فهما يفرحان بانتهاء شهر رمضان لينطلقوا إلى شهواتهم، وملذاتهم، وغفلاتهم؛ لأنَّهم كانوا في سجن وفي أسر في شهر رمضان، فلما انتهى ينطلقون إلى غفلتهم وسهوتهم، يسرحون ويمرحون في هذه الحياة إلى أن يأتيهم الموت إلَّا من وفقه الله جلَّ وعلا وتاب إلى الله قبل مماته، فإنَّ الله يتوب على من تاب.

أيُّها المسلمون: إن من علامة قبول شهر رمضان أن تكون حال المسلم بعده أحسن من حاله قبل رمضان؛ لأنَّ الحسنة تدعو إلى الحسنة، والعمل الصَّالح يدعو إلى العمل الصَّالح، ورمضان شهر يعوِّد المسلم على فعل الخير، ويربيه على الطَّاعة، فهو بعد رمضان يستمر على طاعة الله ويتلذذ بها، إنَّ مجال العمل الصَّالح مفتوحٌ آناء اللَّيل والنَّهار في كلِّ السنَّة، فإن أردت القيام فقيام اللَّيل مشروعٌ في كلِّ السَّنة، تقوم ما يسر الله لك، وتحافظ على ذلك وتداوم عليه، إن أردت الصِّيام فالصِّيام مشروعٌ ومستحب في سائر السَّنة، في أيام معينة بينتها السُّنَّة فحافظ على ذلك، إن أردت تلاوة القرآن فالقرآن ميسر في كل وقت: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧]، فداوم على تلاوة القرآن، فإنَّه حبل الله المتين بيدك: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[آل عمران:١٠٣].

وكذلك من اعتاد في شهر رمضان وأَلِف المساجد، فإنَّ المساجد مفتوحة ولله الحمد في سائر السنة، مفتوحة على مصراعيها، مهيأة للجلوس فيها، والصَّلاة فيها، وذكر الله فيها، لاسيما المحافظة على الصَّلوات الخمس: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ

تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[النور: ٣٦ – ٣٨].

والمساجد: هي بيوت الله، وهي قرَّة عيون المؤمنين، يترددون إليها، ويجلسون فيها، ويألفون فيها، وفي الحديث: «مَن أَلِفَ المَسْجِدَ أَلِفَهُ الله»[٢] أو كما جاء، ومن السَّبعة الَّذِينَ يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظلُّه: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ»[٣]، كُلما خرج منها يرجع إليها، يتردد عليها في اليوم واللَّيلة خمس مرات للصَّلوات المفروضة، ويجلس فيها ما تيسَّر له، والجلوس فيها اعتكاف، اعتكاف على طاعة الله سبحانه وتعالى، فهي بيوت الله، وهي مشع الأنوار، وهي مستقر الملائكة، ومستقر الرَّحمة، وهي حياة المسلمين في عباداتهم، وفي تعلمهم، وفي ذكرهم لله عزَّ وجلَّ، فهي أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده، تُبنى بين بيوتهم، وفي حاراتهم، لا يتكلَّفون مشقة في الذِّهاب إليها، فهي نعمة من الله بين أظهركم، فعمروها بطاعة الله سبحانه وتعالى.

يا من تعودتَ على حفظ لسانك من الغيبة، والنَّميمة، والشَّتم، وقول الزور في شهر رمضان، حافظ على ذلك بعد رمضان، فأمسك لسانك، فإن أطلقته قتلك، قتلك بالكلام السَّيئ، بالغيبة، بالنَّميمة، بكل كلام محرَّم، أمَّا إذا أمسكته واستعملته في ذكر الله أصبح خادمًا لك في ذكر الله سبحانه وتعالى، يا من صُنت سمعك في رمضان عن استماع المعازف، والمزامير، والملاهي، صُن سمعك بعد رمضان عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء:٣٦].

يا من تعودتَ حفظ نظرك عن النَّظر إلى الحرام في شهر رمضان، غضّ بصرك، وغُضَّ طرفك عمَّا حرَّم الله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[النور:٣٠-٣١]، فالله جلَّ وعلا أمرنا بغضِّ الأبصار عمَّا حرَّم الله، عن النَّظر إلى النِّساء، عن النَّظر إلى الصُّور الفاتنة، عن النَّظر في الشَّاشات الخبيثة، الهابطة، الَّتي

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٣٨٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٣) برقم (٢٠٣١) أخرجه الطبراني وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام وأخرجه ابن عدي في ترجمته (٩٧٧).

(٣) أخرجه حديث البخاري برقم(٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

تعرض السُّوء، وتعرض الفحش، وتعرض ما يخدش الحياء، ويخدش الإيمان، فلنحفظ أبصارنا عن هذه القنوات الَّتي انتشرت بين النَّاس ودخلت كثيرًا من البيوت.

فعلينا أن نغضَّ أبصارنا عنها، فإنَّ النَّظر سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فحافظ على غضِّ بصرك في سائر أيامك، كما غضضته في شهر رمضان، فما شهر رمضان إلَّا مربٍّ لك، ما شهر رمضان إلَّا فترة ودورة تمر بك على الأعمال الصَّالحة تتربى عليها وتعتادها، فحافظ عليها ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [النحل: ٩٢]، لأنَّ بعض النَّاس يجتهد في رمضان، لكن إذا خرج رمضان عاد إلى التَّفريط، وعاد إلى المعاصي، فمحا ما كان عمله في شهر رمضان من خير، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، أعوذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[الحشر:١٨-٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من البيان والذِّكر الحكيم، أقول قولي هذا: وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كلِّ ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه، إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

أيُّها النَّاس: اتقوا الله، واشكروه على نِعمه حيث بلَّغكم شهر رمضان، وأكمله لكم، ومكَّنكم فيه من الطَّاعة، وفعل الخير.

ثُمَّ اعلموا رحمكم الله أن فضل الله يتوالى عليكم، فما انتهى شهر رمضان إلَّا وأعقبته أشهر الحج إلى بيت الله الحرام: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ﴾ [البقرة:١٩٧]، وهي شهر شوال، وشهر ذو القعدة، وعشرة أيام من ذي الحجَّة، هذه أشهر الحج، وهي أيام مباركة، متَّى أحرم المسلم فيها بالحج انعقد إحرامه، وتبدأ من يوم العيد، من يوم عيد الفطر، أوَّل يوم من شوال، فرمضان يؤدى فيه ركن الصِّيام، وأشهر الحج يؤدى فيها ركن الحج، فنِعم الله تتوالى على العباد، فلله الحمد والمنة على فضله وإحسانه.

واعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديِّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَّانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشِّرك والمشركين، ودمر أعداء الدِّين،

واجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين، يا ربّ العالمين.

اللَّهُمَّ بارك لنا في شهر رمضان، اللَّهُمَّ أرزقنا فيه القوة، والاحتساب، العمل الصَّالح، اللَّهُمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ ارزقنا من فضائله ومغانمه ما يسرته لنا، اللَّهُمَّ أعنَّا على صيامه وقيامه وحفظ أيامه من الخلل والضياع:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٢].

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا واجعلهم هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السُّوء والمفسدين يا رب العالمين.

عبادَ الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].



